

ملخص البحث

أسلوبية الخطاب البياني للمسمى بغير اسمه في القرآن

وفاء شريف زكي سليمان

عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم سابقاً

wafaa2609@gmail.com

الحمد لله الذي علّم آدم الأسماء كلها
فضلاً وامتناناً، ومنحه الكلام نطقاً وكتابة
وبياناً، وأورثه العلم والحق هدى وتبياناً،
والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله
الرحمة المهداة والنعمة المجتابة وعلى آله
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

يتناول البحث الأسلوب القرآني الكريم في ذكر الأشخاص والأشياء بغير أسمائها الحقيقة والغرض من وراء ذلك كما يبدو من السياق القرآني الكريم، وعند الدراسة وجدت تنوعاً كبيراً في الأساليب الخطابية للمسمى بغير اسمه في القرآن وثراء عظيم في الدلالة والمعنى وتكاد تكون هذه الأساليب سمة من السمات القرآنية الأصيلة في خطاب الآيات مع تنوع مدلولها البلاغي والبياني، ونسأل الله التوفيق والسداد.

الكلمات المفتاحية: أسلوبية الخطاب القرآني-المسمى بغير اسمه – القرآن الكريم –الكنية والألقاب- استخدام الرموز والأعداد.

Abstract

Praise be to God who taught Adam the Names completely in addition Gratitude

, and gave him speech in speech, writing, and clarification, and bequeathed to him knowledge and truth as guidance and clarification

, and may blessings and peace be upon Muhammad bin Abdullah, the mercy bestowed and the blessing bestowed upon him, and upon his family and companions, and may peace be upon him greatly.

The research deals with the Holy Qur'anic style of mentioning people and things by other than their names the truth and the purpose behind that, as appears from the Holy Qur'anic context. Upon study, I found a great diversity in the rhetorical styles of those called by other than their names in the Qur'an, and a great richness in connotation and meaning. These styles are almost one of the authentic Qur'anic features. In the discourse of the verses, with their diverse rhetorical and declarative meanings, we ask God for success and guidance

Keywords: Stylistics of Quranic discourse - calling someone by another name - the Holy Qur'an - nicknames and the Title _ Use of symbols and numbers

المقدمة

تصارعتُ في داخلي خصلتان هما: الرغبة والرغبة، فتصارعت رغبتي في كتابة هذا البحث وتدوين الفكرة التي دارت في عقلي كثيراً، مع الرغبة والخوف الذي يملكني كلما أردت أن أكتب بحثاً في القرآن الكريم، وبعدما طال الصراع لمدة طويلة بين الرغبة والرغبة حسمت المعركة لصالح الرغبة في تدوين البحث، واستعنت بالله العظيم ودعوته جل في علاه أن يعين قلبي فيما سيكتب ويمده بمدده المغيث، وأن يكتب له التوفيق في كل حرف صادق وكل كلمة خالصة لا نطلب بها إلا وجه الله عز وجل ثم خدمة القرآن الحكيم.

وها أنا ذا بعد مرور وقت طويل-بضع سنوات-أكتب ما يُجيب على الأسئلة الكثيرة التي تتبادر إليّ ذهن مع تلاوة القرآن، تلك الأسئلة التي دارت في عقلي ولا شك تدور في عقل كل من يتدبر القرآن الكريم، ومن تلك الأسئلة لماذا يذكر القرآن الكريم الشخص باسمه الصريح في موضع وفي موضع آخر يكنى عنه أو يذكره بلقبه أو بضمير يعود عليه وما مدى هذا التباين الأسلوبى الحكيم للقرآن في ذكر الأشياء أو الأشخاص بأسمائهم أو ذكرهم بألقابهم أو تسميتهم بغير أسمائهم المعروفة؟ فكم تتعجب عندما تُذكر الأسماء في الخطاب القرآني- فأحياناً تجد القرآن يذكر الأشخاص بأسمائهم الصريحة، فيذكر يونس عليه السلام باسمه الصريح في آية ويكنى عنه باسم آخر في آية أخرى، اسمع لقوله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ سورة الصافات الآية ١٣٩ وفي آية أخرى يقول عز وجل: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن نقدر عليه﴾ سورة الأنبياء الآية ٨٧ فسماه (ذا النون) وليس هذا باسمه الصريح، فما الغرض من تغيير الاسم للمسمى الواحد، ولماذا يذكره في آية باسمه الصريح وباسمه (المكنى عنه) في آية أخرى .

كثيراً ما يستخدم القرآن التصريح بالاسم " الحقيقي " كما في قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ سورة الفتح الآية ٢٩ فقد ذكر الرسول الكريم باسمه الصريح " محمد " ، وفي موضع آخر يستخدم القرآن لفظ النبي بدلاً من الاسم الصريح مثل قوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ سورة الأحزاب الآية ٢١ وما يتغير الأسلوب القرآني إلا لغرض بلاغي ، فلو قيل - في غير القرآن - " محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم " لتغير المعنى وفقد السياق القرآني كثيراً من دلالاته العميقة المعجزة- وحاشاه القرآن وتنزه عن ذلك - فهو كلام الله الحكيم العليم سبحانه.

تبدو تغيرات البنية الخطابية بالاسم وكأنها ظاهرة قرآنية معجزة: فحين يتغير الأسلوب في الخطاب والسرود القرآني بين ذكر المسمى باسمه الصريح أو ذكره بلقبه أو صفته أو بالمبهم من الأسماء، فلا بد من هدفٍ بياني وغرض بلاغي يحتاج الكشف عنه ، فمثلاً في قوله تعالى " فلما قضى زيد منها وتراً " ذكر القرآن الكريم الصحابي الجليل "زيد بن حارثة" باسمه صريحاً، في حين ذكر الصحابي الجليل أبا بكر رضي الله عنه بصفته في قوله تعالى: ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ سورة التوبة الآية ٤٠ ، ومعلوم من السيرة النبوية مدى حب النبي لأبي بكر، فلماذا لم يذكر القرآن اسمه الصريح كما ذكر اسم

زيد الصريح - رضى الله عنهما - ولماذا يستخدم القرآن كنية الشخص أو وظيفته أو النوع الذي ينتمي إليه بدلاً من ذكر الاسم الصريح ، يقول تعالى : " وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى {سورة يس~ الآية ٢٠} ، أما كان من السهل في القرآن أن يذكر الرجل باسمه الصريح فيقول جاء " فلان " ويسميه باسمه ، لكن القرآن أثر استخدم الخطاب فذكره بالنوع (كلمة رجل) بدلاً من اسمه الصريح لغرض بلاغي مخصوص .

نعم هذا ما دعاني للنظر في كتاب الله عز وجل لأعيد التلاوة فيه مرات بعد مرات والتوقف عند أساليبه واستخدامه للأسماء ومسمياتها، والتنبيه لتلك الأسماء في سياقها القرآني سواء كانت في معرض القصص أو في معرض التشريع أو الحكم أو في مجال ضرب الأمثلة وأخذ العبرة ...

وبداية الأمر وعند البحث يجد المسلم نفسه أمام ثلاثة أساليب من أساليب الخطاب القرآني واستخدامه للمسميات، فعندما يتكلم القرآن عن الأسماء يستخدم واحداً من ثلاثة أساليب:

١_ أن يذكر المسمى باسمه الصريح

٢_ أن يذكر الضمير نيابة عن التصريح بالاسم الحقيقي للمسمى

٣_ أن يستخدم عدة أساليب ليخفي الاسم الصريح وتكون هذه الأساليب بمثابة الإشارة إلى المسمى.

ويتناول هذا البحث النوع الثالث من تلك الأساليب حيث يتناول الأسلوب القرآني في ذكر المسمى بغير اسمه والغرض البلاغي والبياني منها، ولهذا سيكون البحث على فصلين:

الفصل الأول (حذف الاسم الصريح للشخص أو للشيء وذكره بغير اسمه) وينقسم هذا الفصل إلى عدة مباحث:

- المبحث الأول: أن يذكر الخطاب القرآني المسمى بنوعه
- المبحث الثاني: أن يذكر المسمى في الخطاب القرآني بكُنْيته أو لقبه
- المبحث الثالث: أن يذكر المسمى [بصفاته] بدلاً من اسمه الحقيقي
- المبحث الرابع: أن يذكر المسمى [بوظيفته] بدلاً من اسمه الحقيقي
- المبحث الخامس: أن يذكر بنسبه أو بحسبه في قومه نيابة عن الاسم الصريح
- المبحث السادس: أن يذكر الرمز العددي أو الرمز اللفظي بدلاً عن الاسم الصريح
- الفصل الثاني: أن يذكر المسمى باسم مبهم، ويتضمن عدة مباحث:
- المبحث الأول: يذكر الشخص باسم عام أو خاص
- المبحث الثاني: أن يذكر الأفعال أو خصائص الإنسان بدلاً من اسمه الصريح

ولم أجد - فيما بين يدي من أبحاث وما وصل إليه علمي- مَنْ تناول هذا الموضوع بمثل هذه الفكرة وقد بحثت كثيراً فوجدت من تناول استخدام الضمير بدلاً من الاسم الصريح لكن لم يربطها بالناحية البلاغية واقتصر على الناحية النحوية والصرفية، ونسأل الله أن يوفق ويعين.

التمهيد:

أردت من هذا البحث الكلام عن أسلوب التخاطب القرآني حيث يتكئ الخطاب في القرآن على تخصيص الشخصية أو الإشارة إليها ومن ثم تحديد المسميات لها بعدة أساليب متغايرة، وما ينتج من أحداثٍ تنتجها هذه الشخصية يجعل لها تأثيراً وقوة فاعلة في السرد، ويتراوح حديث القرآن بين الخطاب المباشر عن طريق الأسلوب الإنشائي المباشر وأحياناً يستخدم أسلوباً سردياً إخبارياً ، ولكل منهما غرضه البلاغي الذي يتناسب مع السياق والمعنى العام للآية الكريمة ، فمن الأغراض الخطابية لتسمية المخاطب باسمه في سياق الأسلوب الخبري قوله تعالى: {وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره} سورة الأعراف الآية ٦٥، فقد ورد الاسم الصريح لنبي الله هود المرسل لقومه عاد، وغالباً ما يذكر القرآن أسماء "أنبياء الله" صراحة، لأخذ الحجة لهم ومن ثم أخذ الحجة على أقوامهم، كذلك لزيادة التأييد للرسول فيما أرسل به، يقول الزمخشري في تفسيره للآية الكريمة: "أخاهم واحداً منهم، من قولك: يا أخا العرب للواحد منهم وإنما جعل واحداً منهم ، لأنهم أفهم عن "رجل منهم" وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وهو: هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح".^١

والآية الكريمة تسمى نبي الله هوداً باسمه الصريح وباسمه سُميت سورة كاملة في القرآن، والغرض من تسميته باسمه الصريح هنا هو التقرير: لأن نبي الله هوداً أدى ما عليه تجاه الرسالة والدعوة لقومه الذين كذبوه وأذوه، ومن العجيب أن نجد القرآن في آية أخرى يعدل عن التصريح باسم هود عليه السلام إلي ذكره بنسبته إلى قومه عاد، قال تعالى: {وإلى عاد أخا عاد} إذ أنذر قومه بالأحقاف {سورة الأحقاف الآية ٢١} فقد ذكر القرآن النبي "هود" عليه السلام بتسمية أخرى هي (أخا عاد) وترك التصريح بالاسم الحقيقي لغرض بلاغي: وهو إظهار مدى انتساب هود عليه السلام إلي قومه وحرصه عليهم وإنذاره لهم وتبليغهم بدعوة التوحيد وإشفاقه عليهم حين كذبوه وجحدوا بآيات ربهم ، قال تعالى: {وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد} (سورة هود الآية ٥٩) فقد أورد القرآن ذكر هود عليه السلام من خلال كلمة "رسله" وهي كلمة بصيغة الجمع، وهود عليه السلام رسول واحد و فرد واحد، فلماذا ذكر القرآن أنهم "عصوا رسله"، لعل الغاية من ذلك أنهم عندما كذبوا هوداً عليه السلام فكأنهم كذبوا جميع الرسل ، وقد عدل القرآن عن التصريح باسم هود عليه السلام، لأنهم حينما كذبوا هوداً لم يكذبوه كشخص أو كفرّد من القبيلة، وإنما كذبوا مقالته ودعوته وما أرسل به من هدى وما بُعث به من رسالة للتوحيد .

ومن الكثرة الكثيرة أن يورد القرآن الكريم الأسماء الصريحة في معرض سرده لقصص الأنبياء ودعوتهم لأقوامهم، ومن المواضع التي ذكر فيها القرآن أنبياء الله بأسمائهم، قوله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلاً} (سورة النساء ١٢٥) فالخطاب بذكر الاسم الصريح جاء لغرض التكريم لنبي الله إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً، كذلك يذكر اسم "إبراهيم" في قوله تعالى: {وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم} (سورة الأنعام ٨٣) ، وما أعظم هذا التكريم لإبراهيم عليه السلام أن يذكر اسمه في كتاب الله ويتلى في آيات القرآن الحكيم.

كذلك يذكر القرآن الاسم الصريح عندما يريد الوصف والمدح ، في قوله تعالى {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم} (سورة الفتح ٢٩) وفي الآية تعبيران مختلفان ، الأول: التعبير بالاسم الصريح وهو التصريح باسم النبي الكريم (محمد) ﷺ تكريماً وإثباتاً لحمله الرسالة فهو بشخصه الكريم (محمد)

رسول الله ومبعوثه للبشرية جمعاء، وجاء التعبير الثاني بالضمير: هو التسمية المضمرة في قوله تعالى: {والذين معه} وهذا التعبير بالمضمر تأتي في السياق القرآني لينوب الضمير عن ذكر الأسماء المتعددة للصحابة رضوان الله عليهم، والغرض منه وصف العلاقة في المجتمع المسلم في العهد النبوي، ومدى ارتباط الصحابة بالنبي واتباعهم له وموافقتهم له فيما يأمرهم به أو ينهاهم عنه، وقد عبرت عنه كلمة (الذين معه) وهي تفيد الاشتراك والمصاحبة، ولهذا فقد وصف القرآن ما يتمتع به الصحابة من صفات تم ذكرها سابقا في التوراة والإنجيل {ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل} سورة الفتح الآية ٢٩، وكان القرآن يثبت ما جاء في التوراة والإنجيل ويقرره في تعبير معجز بليغ .

ولعل السبب من ذكر القرآن باسم نبينا الكريم "محمداً" ﷺ هو إثبات الرسالة له رداً على من يشكك أو يكذب في دعوته، كذلك يصرح باسمه ﷺ - في معرض التشريع ووضح المنهاج الإسلامي السديد، وبخاصة إذا كان هذا التشريع يتعلق بحياة الناس ووضع الحدود فيما بينهم، وجاء التصريح باسم النبي الكريم في معرض التشريع في الآيات التي نزلت لتحرم التبني في قوله تعالى: {ما كان محمد أبا أحد من رجالكم} سورة الأحزاب الآية ٤٠ والأسلوب في الآية الكريمة يستدعي التصريح بالاسم لأن الموضوع دقيق وبالغ الحساسية، إذ كان معروفاً في الجاهلية التساهل في التبني ولا يرى الناس فيه مشكلة أو جريرة، ولهذا فكان من الضروري عند فرض الأحكام وتشريع إبطال عادة التبني أن يذكر الاسم صريحاً، فيذكر الرسول الكريم باسمه الصريح (محمداً) ليبطل عادة التبني ويقرر تشريعاً إسلامياً جديداً على خلاف طبائع العرب وهو أمر يحمل كثيراً من الغرابة بالنسبة للعرب قديماً، ولذا فهو يقرر: أن النسب لا بد وأن يكون نسباً حقيقياً من الدم، فالأبوة والبنوة لا بد لها من صلة حقيقية تتفرع منها تبعات التوريث للأموال والوراثة للصفات الجسدية والروابط العائلية، يقول الثعالبي: "ثم أمر الله تعالى في هذه الآية بدعاء الأديعاء لأبائهم -أي إلي آبائهم للصلب- فمن جهل ذلك فيه كان مولى وأخاً في الدين فيقول الناس زيد بن حارثة وسالم مولى أبي حذيفة إلى غير ذلك" ..^٢

ومن الأسباب والأغراض التي من أجلها يصرح القرآن باسم الصريح عندما يكون الأمر فيه صعوبة لا تستطيع النفس البشرية أن تتقبلها في العادة ، حينئذ يصرح القرآن الكريم بالاسم الحقيقي لغرض المواساة والتطبيب على النفس وبخاصة بعد هول الفواجع، فمثلاً بعد الطوفان وهلاك قوم نوح وامرأته وولده، يقول الله تعالى مواسياً لنوح عليه السلام: {قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك} سورة هود الآية ٤٨، فبالرغم من أن نوح عليه السلام دعا على قومه لكنه حزن عليهم فأكد الله له هلاكهم قال تعالى {وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد ءامن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون} (٣٦) واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون} سورة هود الآية ٣٧، ونجد أن القرآن يستخدم النداء كأسلوب إنشائي محدد ودقيق "يا نوح- وأوحى إلى نوح" وهو تخصيص يقرنه بالاسم الصريح لنبي الله نوح بغرض المواساة والتلطف .

وذكر الأسماء الصريحة في القرآن كثيراً ما يرد عند الحكاية عن أنبياء الله ورسله عليهم السلام، فينحو القرآن الكريم أسلوباً خطابياً فريداً، فعندما يسرد القرآن الكريم حكاية كل نبي مع قومه، إنما يسردها ليستفاد منها ويُعتد بها ويُؤخذ منها العبرة والعظة، ومن هذه الحكايات ما قصه القرآن الكريم عن قوم مدين عندما تحدثوا بجفاء إلي نبيهم الكريم (شعيب) عليه السلام، فقالوا له كما حكى القرآن: {قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين ءامنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا} قال أولو كنا

كارهين { الآية ٨٨ من سورة الأعراف فقد ذكر القوم شعيباً باسمه الصريح في معرض استهزائهم واستهتارهم بما يدعوههم إليه و توعدهم له بالنفي والتخريج من البلدة ،ولكي يبين القرآن مدى تكذيبهم لشعيب عليه السلام ،فقد أخبرنا عن اجتماعهم سراً وذكر ما تناجوا بها فيما بينهم قال تعالى حكاية عن هذا الموقف: { وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون }سورة الأعراف الآية ٩٠، وغرضهم من التصريح باسم نبيهم الحقيقي "شعيب" في الآية الأولى: هو الوعيد والتهديد المباشر له وللمؤمنين معه بالنفي والإبعاد وفي الآية الثانية صرحوا بذكر اسمه "شعيباً" لغرض التحذير منه والصد عنه وعن دعوته .ويختلف الخطاب والأسلوب الذي واجه به القوم شعيباً عليه السلام عن الخطاب والأسلوب الذي واجه به قوم نوح: "نوحاً" عليه السلام ،فعند حديث قوم نوح إليه يقول القرآن حكاية عنهم :{ قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين }سورة هود الآية ٣٢، وكذلك قولهم :{ قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين } (١١٦ سورة الشعراء)وقد صرح قوم نوح عند مخاطبته بذكر اسمه على سبيل التهوين والاستهزاء وعدم الاكتراث ،وتمادوا في ذلك وطلبوا أن يُنزل عليهم العذاب إن كان صادقاً، ولعل عنادهم هذا وعدم اكترائهم كان السبب في الأمر القاطع في إهلاكهم والقضاء المبرم عليهم بالطوفان والفناء، قال تعالى :{وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذاباً أليماً }سورة الفرقان الآية ٣٧،يقول الرازي في تفسير الآيات من سورة الشعراء : " اعلم أنه تعالى لما قص على محمد ﷺ خبر موسى وإبراهيم تسلياً له فيما يلقاه من قومه قص عليه أيضاً نبأ نوح عليه السلام فقد كان نبؤه أعظم من نبأ غيره ،لأنه كان يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً[مدة طويلة من الزمن] ومع ذلك كذبه قومه فقال (كذبت قوم نوح) وإنما قال كذبت لأن القوم مؤنث تصغيره قويمة وإنما حكى عنهم أنهم كذبوا المرسلين لوجهين ،أحدهما : أنهم وإن كذبوا نوحاً لكن تكذيبه في المعنى يتضمن تكذيب غيره ،لأن طريقة معرفة الرسل لا تختلف فمن حيث المعنى حكى عنهم لأنهم كذبوا المرسلين ،وثانيهما: أن قوم نوح كذبوا بجميع رسل الله تعالى إما لأنهم كانوا من الزنادقة أو من البراهمة "٣.

ويجد القارئ المتدبر للقرآن الكريم سمةً عامةً فيه، هي: عدم الإفصاح عن الأسماء الحقيقية إلا في القليل من الآيات، ولا يذكر الاسم الصريح للمسمى، إلا إذا كان لغرض بلاغي يستفاد من السياق، فالغالب في السرد والخطاب القرآني عدم ذكر الأسماء الحقيقية، وإنما ينوب عنها بما يعبر عن مقصودها.

- فلم يذكر القرآن الكريم من أسماء المرسلين إلا أسماء بعض الرسل والأنبياء قال تعالى: {ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك} سورة غافر الآية ٧٨ فذكر آدم ونوحا وإبراهيم وإسماعيل وغيرهم من الأنبياء والمرسلين الكرام وقد أوردت سابقاً بعضاً من الآيات شاهداً على ذلك، كما ذكر القرآن الكريم بعض الأنبياء عليهم السلام بصفاتهم ووظائفهم وهذا ما سنبيين غرضه البلاغي فيما هو قادم.

-أما بالنسبة للمسمى من الناس فقد ذكر القرآن أسماء من البشر العاديين ولم يذكر اسماً صريحاً من أسماء الصحابة إلا "زيد بن حارثة " في قوله تعالى :{ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه و أنعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها } الآية ٣٧ من سورة الأحزاب ، " الوطر هو الحاجة والأرب أي :لما فرغ منها وفارقها زوجناكها وكان الذي ولي تزويجها منه هو الله عز وجل بمعنى أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا

مهر ولا عقد ولا شهود من البشر ... وذلك أن رسول الله ﷺ كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة فكان يقال له : زيد بن محمد، فلما قطع الله هذه النسبة بقوله تعالى: ﴿ وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، ادعوهم لأبنائهم هو أقسط عند الله ﴾ سورة الأحزاب الآية ٥ ، ثم زاد ذلك بياناً وتأكيذاً بوقوع تزويج رسول الله ﷺ بزينب بنت حشيش لما طلقها زيد بن حارثة "٤.

والغالب في ذكر الصحابة أن يذكروا بأفعالهم أو أوصافهم، فمما كان من ذكر القرآن للصحابة بغير أسمائهم الصريحة مثل قوله تعالى في أبي بكر رضي الله عنه عندما هاجر مع النبي من مكة للمدينة وحكى القرآن قول النبي له في قوله تعالى: ﴿ إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ سورة التوبة الآية ٤٠ ، ولم يكن للنبي من صاحب في الهجرة غير أبي بكر فسماه القرآن بصفته من النبي (صاحبه) وهذا لغرض بلاغي يدل على شدة المصاحبة التي تتسم بالإخلاص والمودة من أبي بكر لصاحبه رسول الله، فنابت كلمة (صاحبه) مناب الاسم الحقيقي لبيان الصلة وشدة الملازمة والصحبة، يقول الزمخشري في كشافه: " أنهم حين هموا بإخراجه أذن الله له في الخروج -أي من مكة- فكانهم أخرجوه ثاني اثنين: أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله وأبو بكر الصديق -رضى الله عنه- يروى لأن جبريل -عليه السلام- لما أمره بالخروج قال من يخرج معي، قال : أبو بكر "٥.

الفصل الأول (حذف الاسم الصريح للشخص أو للشيء) وذكره بغير اسمه:

يكاد يكون إخفاء الاسم الصريح سمة من سمات القرآن من خلال تسمية الشخص أو الشيء بغير اسمه لغاية بلاغية وهدف بياني، ولنبدأ بذكر الأشخاص الذين تناولهم الخطاب القرآني بغير أسمائهم الحقيقي.

المبحث الأول: أن يَذكر الخطاب القرآني المسمى بنوعه

يعتمد القرآن الكريم في خطابه عن الأشخاص: على تسميتهم (بالنوع) ومن التسمية بالنوع التي تعتمد على مخاطبة الأشخاص بذكر أنواعهم مثل: هذا رجل وتلك امرأة وهذا فتى وتلك فتاة، وقد استخدم الخطاب القرآني السرد بالنوع على سبيل البدائل للمسمى والعدول عن الاسم الحقيقي لاستخدام كلمة تدل على النوع بدلاً منه لغرض بلاغي وبياني يعرف من سياق الآية.

أ- استخدام كلمة الرجل ومشتقاتها:

ففي قوله تعالى : ﴿ قال رجلان من الذين يخافون أُنعم الله عليهما ادخلا عليهما الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ﴾ سورة المائدة الآية ٢٣ " فلم يذكر اسم الرجلين وذكرهما بنوعهما ، لأن من الرجولة الوقوف مع الحق والنصح له ، وهذين الرجلين تحققت فيهم الرجولة الكاملة حيث نصحوا لقومهما بما فيه الخير ويذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة قوله : " وقرأ بعضهم (قال رجلان من الذين يخافون) أي : ممن لهم مهابة وموضع من الناس ، ويقال إنهما (يوشع بن نون و كال بن يوفنا) قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسدي والربيع بن أنس وغير واحد من السلف رحمهم الله " ٦ ، وقال تعالى : ﴿ أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون ﴾ سورة الأعراف الآية ٦٥ ، والمقصود برجل منكم هو نوح عليه السلام وذكرته الآية الكريمة بلفظ رجل بدلاً من اسمه الصريح ، لتكون دليلاً على اكتمال نبوته وتمام عقله ورجاحة تفكيره وانتماؤه لقومه وحرصه عليهم وأنه لا يريد بهم إلا الخير ولا يرشدهم إلا إلى الصواب ، ومنها كذلك قوله تعالى : ﴿ أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾ سورة الأعراف الآية ٦٩ ، والمقصود

بالرجل في الآية الكريمة هو النبي الكريم هود عليه السلام ، أما كلمة رجل في قوله تعالى : { أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم } سورة يونس الآية ٢ ، والرجل في الآية المقصود به هو نبينا محمد ﷺ ، وما ذكر النبي الكريم بنوعه (رجل) إلا ليبين القرآن اكتمال نبوته ورسالته وجميل صفاته ورجحان عقله وقدرته على تحمل أعباء الرسالة والتبليغ بها كما تدل انتماء النبي لقومه (رجل منهم) وأنه الهادي للحق ومرشدهم إلى الصواب ونجد تسمية النبي الكريم بنوعه في أكثر من موضع في القرآن فمثلاً في قوله تعالى : { نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً } سورة الإسراء الآية ٤٧ ، وذكرهم لنبينا محمد ﷺ بكلمة (رجل) دليل على حقهم واستكبارهم عليه لأنهم أرادوا النبوة في غيره من عظماء القوم فأرادوا النبوة في رجل من القريتين عظيم، قال تعالى : { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ } سورة الزخرف الآية ٣١ ، وكثيراً ما يستخدم الكفار كلمة رجل ليقهروا من شأن النبي استكباراً منهم وعناداً، قال تعالى حكاية عنهم : { وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد } سورة سبأ الآية ٧، وقوله تعالى حكاية عنهم : { وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم } سورة سبأ الآية ٤٣ ، وقوله تعالى : { أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً } سورة الفرقان الآية ٨ ، والظاهر من الأمر عدم اعتراضهم علي النبي بصفته ونوعه ولكن كان اعتراضهم على فقره ومكانته وأنه فقير يتيم ، يمشي في الأسواق ويأكل الطعام ويتاجر ويفعل ما يفعله الناس ، ولهذا حكى الله تعالى قولهم : { وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (8) } وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَّا يَلِبْسُونَ } سورة الأنعام الآية ٩، فهم يكفرون عناداً واستكباراً ولهذا لم يذكروا النبي باسمه الصريح وكان ذلك لغرض بلاغي ، ورد القرآن الكريم عليهم في ذلك رداً موبخاً ومقرعاً لهم على كفرهم ، وعدم تصديقهم لرسولهم قال تعالى : { ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون } سورة الأنعام الآية ١٠ ، وفي القرآن الكريم تستخدم كلمة رجل لتدل من يؤيدون الحق ولعل القرآن أثر هذا الاستخدام ، ليبين مفهوم الرجولة الحق ، فالإنسان ليس باسمه لكنه بمواقفه التي تحتسب له ، قال تعالى : { وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين } سورة يس ~ الآية ٢٠ ، فهذا الرجل الذي لا نعلم اسمه الصريح ، لم يكتف بالسعي والإسراع لإنقاذ قومه لكنه تابعهم بالنصيحة : يا قوم اتبعوا المرسلين ، " وقال ابن اسحاق -فيما بلغه عن ابن عباس وكعب الأحبار ووهب بن منبه : أن أهل القرية هموا بقتل رسلهم فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى ، أي لينصرهم من قومه -قالوا : وهو حبيب وكان يعمل الجريز -وهو الحبال- وكان رجلاً سقيماً قد أسرع فيه الجذام وكان كثير الصدقة يتصدق بنصف كسبه مستقيماً النظرة ... وقال الثوري عن عاصم الأحول عن أبي مجلز : كان اسمه حبيب بن مري. " ٧

وكان كلمة (رجل) تكفي الإنسان وصفاً و تشريقاً لمن يتسمى بها، قال تعالى : { وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأترون بك ليقتلوك فاخرج إنني لك من الناصحين } سورة القصص الآية ٢٠ ، تلك هي الرجولة وتلك علامات: أن تكون في جوار الحق وتنصر للصالحين المصلحين ، ولهذا لم يذكر القرآن هؤلاء الرجال بأسمائهم فالعبرة بالأفعال لا بالأشخاص ، وليس من الضروري معرفة أسمائهم ، لأنها معلومة عند الله وهو سبحانه من يجازيهم ويُجزل لهم العطاء، ونحن موقوفون عند أعمالهم لا عند أسمائهم.

وكما ذكرت كلمة رجل وكلمة رجلان و ذكرت منها كلمة رجال بصيغة الجمع، في قوله تعالى : {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه }سورة الأحزاب ٢٣ ، والدلالة تتسع في استخدام الكلمة فتتطبق على الصحابة بعامة وتنطلي على كل المؤمنين الصادقين في كل زمان إذا كانوا رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

ب-التسمية بلفظ " امرأة " في القرآن الكريم:

لم يذكر القرآن اسما صريحا لامرأة غير مريم عليها السلام وبها سميت سورة كاملة لعظيم فضلها، فقد كانت هي وابنها آية للعالمين ، وكل من سواها من النساء يذكرن بلفظ امرأة، وذكرت مريم عليها السلام باسمها الصريح وباسم آخر غير اسمها الصريح في آية واحدة في قوله تعالى حكاية عن قومها : { قالوا يا مريم لقد جننت شيئا فريا (٢٧) يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا } سورة مريم ٢٨، فقد استخدم القوم النداء كأسلوب للخطاب وجعلوا النداء أولاً بالاسم الحقيقي الصريح (يا مريم) ليكون الكلام محددا وموجها لمريم عليها السلام بشخصها، ثم استخدموا اللوم والاستنكار تعبيراً: (يا أخت هارون) تلميحاً بصلاح هارون وكان مصلحا محبباً وكانت مريم " من أهل بيت يعرفون بالصلاح ولا يعرفون بالفساد ومن الناس من يعرفون بالصلاح ويتوالدون به وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به وكان هارون مصلحا محبباً في عشيرته وليس بأخي موسى ولكنه هارون آخر " ^٨ ، واستخدامهم للنداء مرتين مرة بالاسم الصريح ومرة باللقب أو الكنية كان لغرض التقرير لها والاستنكار مما وجدوه منها ومن طفلها الرضيع الذي يتكلم في المهد.

ونمضي قليلا مع استخدام القرآن للفظ "امرأة" التي تدل على النوعية، لكنها في كل آية تشير إلى شخصية بعينها فمثلا في قوله تعالى : { إذ قالت امرات عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم } سورة آل عمران ٣٥ ، ففي الآية الكريمة تجد كلمة (امرأة) حلت محل الاسم الحقيقي، وكان الاسم الحقيقي لامرأة عمران هو: حنة على رأي بعض المفسرين ، وقيل " هي حنة -بالحاء المهملة والنون- بنت فاقود بن قنبل أم مريم جدة عيسى عليه السلام وليس باسم عربي ولا يعرف في العربية حنة اسم امرأة" ^٩ .

أما في قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام: {قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر} سورة آل عمران، ٤٠ والمقصود بامراتي عاقر زوجة زكريا عليه السلام وهي أم يحيى ويقال إنها أخت مريم أو خالتها، ولم نقف لها على اسم صريح.

أما المقصود بامراته في قوله تعالى: {فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين } سورة الأعراف ٨٣، فالمراد بها زوجة لوط عليه السلام، وقد هلك مع الهالكين ،" قال السهيلي : واسم امرأة لوط (والهة) واسم امرأة نوح (والغة) " ^{١٠} .

أما كلمة امرأة في قوله تعالى : { وامراته قائمة فضحكت } سورة هود ٧١، المقصود بامراته هنا هي (سارة) زوجة إبراهيم عليه السلام ، أما كلمة امرأة العزيز في قوله تعالى : { وقال نسوة في المدينة امرات العزيز تراود فتاها عن نفسه } يوسف ٣٠، فالمقصود بها علي رواية ابن كثير : " أن اسم امرأة العزيز (راعىل) بنت رماييل وقال غيره كان اسمها (زليخا) والظاهر أنه لقبها وقيل (فكا) بنت ينوس رواه الثعالبي عن ابن هشام الرفاعي " ^{١١} . قال تعالى : { وقالت امرات فرعون قرت عين لي ولك }

سورة القصص ٩، واسم امرأة فرعون " أسية بنت مزاحم ابن عبيد بن الريان بن الوليد "١٢ والغرض البلاغي من استخدام كلمة امرأة التي تدل على النوع وإخفاء الاسم الصريح هو لغرض بلاغي يستفاد من السياق وفي الغالب يكون للتكريم وقد تستخدم كلمة امرأة للوعيد والتهديد ففي قوله تعالى: {وامراته حمالة الحطب} سورة المسد الآية ٤ ، المقصود بامراته هنا هي: " أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان "١٣ وكانت ممن يؤذون رسول الله ﷺ لهذا توعدا القرآن الكريم فلم يذكرها باسمها الصريح واستخدم كلمة امرأة نكاية بها ووعيدا لها.

والملاحظ في استخدام القرآن الكريم للفظ امرأة أنها وصف لكل فتاة أو سيدة لها زوج أو أب على قيد الحياة ولهذا لا يصرح باسمها ويستخدم لفظ (امراة) بدلا منه ،قال تعالى : { ووجد من دونهما امرأتين تزدودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير} سورة القصص ٢٣ ، ومنه قوله تعالى: { وضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما شيئا من الله وقيل ادخلا النار مع الداخلين (١٠) وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عند بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين} سورة التحريم الآية ١١، والملاحظ أنه عندما تكلم القرآن الكريم عن بني إسرائيل وعنادهم ذكر قصة مريم عليها السلام وعندما ذكرت مريم عليها السلام وقصتها ذكرها بالاسم لأنها ابنة آية لبني إسرائيل ولأنها كانت يتيمة لا أب لها وقد كفها زكريا عليه السلام لأنه أحد أقاربها كما أنها لم تتزوج فلا زوج لها، وكان ابنها المسيح رسولا إلى بني إسرائيل ومن أولي العزم من الرسل، فذكرت باسمها الصريح تكريما لها وتعظيما من شأنها.

ج -التعبير الخطابى بلفظ الغلام والفتى

الغلام:" وهو بين الغلومة والغلومية والجمع: الغلمة والغلمان، ويقال الغليم الشاب والجارية أيضاً والغيلم: ذكر السحفاة والغيلم: موضع واغتم البحر: هاج وتلاطمت أمواجه " ١٤.

فالغلام: لفظة تدل على النوع، قال تعالى: {قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر} آل عمران ٤٢، ووردت كلمة غلام في الآية الكريمة نكرة للتخصيص ومبهمة لأن المولود لم يولد بعد، وإنما كانت الملائكة تزف لزكريا البشارة بمولد غلامه، والغلام المقصود به في الآية الكريمة يحى عليه السلام.

وقوله تعالى: {وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة} يوسف ٢١، وفي هذه الآية الكريمة جاءت كلمة غلام نكرة للتخصيص والإبهام لأن حادي القافلة أو وارد القوم عندما وجد يوسف في البئر لم يكن يعلم اسمه فذكره بكلمة غلام والغلام المقصود به في الآية الكريمة يوسف عليه السلام.

أما كلمة فتى: " الفتاء: الشباب والفتى والفتية: الشاب والشابة والفعل فتو يفتو فتاء... قال الأزهري: وقد يجمع على الأفتاء، قال القتيبي: ليس الفتى بمعنى الشاب والحدث، إنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال يدل ذلك على قول الشاعر: (إن الفتى حمال كل ملمة ليس الفتى بمنعم الشبان)" ١٥.

ووردت كلمة الفتى في القرآن الكريم لكن تدل في الآيات على شخصيات متعددة، ففي قوله تعالى: {قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم} الانبياء ٦٠ وفتى صفة ذكرها القوم إشارة مسبقة كتمهيد لتعريفهم باسم إبراهيم عليه السلام.

أما في قوله تعالى: {وقال نسوة في المدينة أمراًت العزيز تراود فتاها عن نفسه} يوسف ٣٠، نجد كلمة فتاها: كناية عن يوسف عليه السلام وقد أبهمت النسوة عن الاسم الصريح استنكاراً منهم لما فعلت امرأة العزيز وخوفهم من بطشها.

ووردت كلمة فتاه في قوله تعالى: {وإذ قال موسى لفتاه آتنا غداءنا} الكهف الآية ٦٠، والمقصود بالفتى: هو (يوشع بن نون) كما ذكره ابن كثير في قصص الأنبياء^{١٦}، ولم تصرح الآية باسم الفتى لأن دوره دور ثانوي في القصة حتى ظهور الشخصية الرئيسية وهي شخصية العبد الصالح ليصبح موسى عليه السلام وتنتهي بذلك المشاهد التي يظهر فيها الفتى صاحب موسى عليه السلام.

المبحث الثاني: أن يذكر المسمى في الخطاب القرآني بكُنيته أو لقبه

تعد التسمية بالكنية أو اللقب من العادات اللغوية والاجتماعية المتوارثة عن العرب، وهي دليل على شدة الاحترام والتوقير كما تدل أحياناً على بالغ الاستهزاء والتحقير، ويستفاد الغرض منها من تبعات السياق في الكلام أو الآيات، وعندهم: "الكنية على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكنى عن الشيء الذي يُستفحش ذكره

والثاني: أن يكنى عن اسم الرجل توقيراً وتعظيماً

والثالث: أن تقوم الكنية مقام الاسم فيُعرف بها صاحبها وتحل محل الاسم الصريح وتصير أفضل منه كما في كنية أبي لهب: واسمه عبد العزى وقد عُرف بكُنيته وصارت علماً عليه وقد سماه الله بهذه الكنية توبيخاً لكفره وجحوده، "قال الجوهرى: والكُنية و الكُنية أيضاً واحدة الكُنى واكتنى فلان بكذا"^{١٧}.

وتهدف الدراسة النوع الثاني والثالث من الكنية وهي نوع من التسمية بغير الاسم أو التسمي بالاسم المخالف للحقيقة، وهي قليلة جداً في القرآن الكريم، وعادة ما تكون الكنية بلفظ "أب" أو بلفظ "أم"، وتكاد تنحصر الكنية بكلمة (أبي) في القرآن في آية واحدة وهي قوله تعالى: {تبت يدا أبي لهب وتب} سورة المسد الآية ١، فكنى عن عم الرسول المسمى بعبد العزى بن عبد المطلب بأبي لهب للاستهزاء والوعيد له بخلوده في النار جراء تكذيبه للنبي ﷺ، وتكاد تنحصر الكنية ب(أم) في آيات معدودة مثل قوله تعالى: {وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه} القصص ٧، وقوله تعالى: {وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً} القصص ١٠، "قال السهيلي: اسم أم موسى (أيارخا) وقيل (أياذخت)"^{١٨} وقد ذكرها بكُنيتها أم موسى ولم يصرح باسمها تكريماً لها فهي من أكثر النساء حظاً لأنها أم موسى و أم هارون.

- ومن الألقاب التي وردت في القرآن في قوله تعالى: "ويسألونك عن ذي القرنين" الكهف ٨٣، وقد خلع القرآن على ذي القرنين هذا اللقب لغرضٍ وحكمة، واجتهد المفسرون في الكشف عن الاسم الحقيقي لذي القرنين، فقيل عن سبب تسميته بهذا اللقب أنه "لقب الإسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين، أو لأنه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لأنه انقرض في أيامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان أي صغيرتان وقيل كان لتاجه قرنان، ويحتمل أنه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكباش للشجاع كأنه ينطح أقرانه، واختلف في نبوته مع الاتفاق على إيمانه وصلاحه"^{١٩}.

المبحث الثالث: أن يُذكر المسمى [بصفاته] بدلاً من اسمه الحقيقي

والذكر بالصفات بدلا من الأسماء الحقيقة قليل في القرآن لكنه من ضمن الأساليب الخطابية الكريمة ومن أبرز الآيات التي استخدمت الصفة نيابة عن الاسم الحقيقي قوله تعالى : في سورة النور : { إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات } سورة النور ٢٣ ، واستخدم القرآن ثلاث صفات ليشير إلي عائشة رضي الله عنها فهي المحصنة الغافلة المؤمنة ، " وأخرج الطبراني عن خفيف ، قلت لسعيد بن جبیر : أيما أشد الزنا أو القذف ؟ قال : الزنا ، قلت إن الله يقول { إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات } قال إنما أنزل هذا في شأن عائشة خاصة وفي إسناده يحيى الحماني ضعيف " ^{٢٠} ، فالوصف إنما يخص أم المؤمنين عائشة وينوب عن ذكر اسمها صراحة ، وهي المرادة من قوله تعالى : { الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون } النور ٢٦ ، فالمراد بالطيبات للطيبين ، عائشة رضي الله عنها ، فذكرها بصفاتها ولم يصرح باسمها الحقيقي ، " نزلت - الآية - في عائشة حين رماها المنافقين بالبهتان والفرية فبرأها الله من ذلك " ^{٢١} .

- أما في قوله تعالى : { وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ } سورة النساء ٩٢ ، وقد ذكرت الآية الصحابي الجليل (عياش بن أبي ربيعة) بالوصف فذكرته بالمؤمن وأخفت اسمه الحقيقي لأنه قتل الحارث بن يزيد ولم يعرف أنه أسلم بعد ، ذكر السيوطي في أسباب النزول قوله : " أخرج ابن جرير عن عكرمة قال : كان الحارث بن يزيد يدخل بني عامر بن لؤي يعذب عياش بن أبي ربيعة مع أبي جهل ، ثم خرج الحارث مهاجراً إلى النبي ﷺ ، فلقية عياش بالحررة فعلاه بالسيف وهو يحسب أنه كافر " ^{٢٢} . أما قوله تعالى : { قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث } المائدة الآية ١٠٠ ، فنزلت في الخمر فكنى عن الخمر بصفقتها وهي الشراب الخبيث لأنها تذهب بالعقل وتدعو صاحبها لاقتراف المعاصي والجرائم ، " أخرج الواحدي والأصبهاني في الترغيب عن جابر أن النبي ﷺ ذكر تحريم الخمر ، فقام أعرابي فقال : إني كنت رجلاً كانت هذه تجارتي فاعتقت منها مالا فهل ينفع ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى ؟ فقال النبي " إن الله لا يقبل إلا الطيب فأنزل الله تعالى تصديقاً لرسوله " ^{٢٣} الآية.

- ويقال أن (أبا إبراهيم) المذكور باسم أزر : وهي كلمة تعني وصفاً أو تدل على سمة وهي بمعنى : معوج و ضال ، و قيل أنه " اسم أعجمي اختلفوا فيه ، فمنهم من قال هو اسم لتارح والد إبراهيم الخليل عليه السلام وقيل لعمه قال تعالى : { وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر أتخذ أصناماً ءالهة إني أراك وقومك في ضلال مبين } سورة الأنعام الآية ٧٤ ، " قال قتادة : أبو إبراهيم اسمه : تارح ، قال يحيى : والمقراءة على هذا التفسير أزر بالرفع وكذلك كان الحسن يقرأها بالرفع أزر يقول إبراهيم لأبيه قال محمد : قال أبو عبيد : مقرأ الحسن بالرفع ، هو بمعنى يا أزر ، وقال الخليل : معنى أزر الشيء بالشيء يعيره به ، كأنه قال : يا معوج يا ضال. " ^{٢٤}

- ومن التسمية بالوصف بدلا من التسمية بالاسم الصريح قوله تعالى : { عبس وتولى أن جاءه الأعمى } سورة عبس الآية ١ ، ونزلت في عبد الله بن أم مكتوم ، فعدل القرآن الكريم عن استخدام الاسم الصريح بصفة من صفات الصحابي الجليل وعلة ملازمة له ألا وهي كف البصر (العمى) ، " روي أن ابن أم مكتوم أتى رسول الله وعنده صناديد قريش يدعوهم إلي الإسلام ، فقال : يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت ، فكان رسول الله يكرمه ويقول إذا رآه : مرحبا بمن عاتبني فيه ربي " ^{٢٥} .

- واستبدل القرآن أسماء أربعة من أفاضل الصحابة بوصفهم في قوله تعالى : { وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم } الأنعام الآية ٥١ ، روى أحمد والطبراني وابن أبي حاتم ، عن ابن مسعود

قال : " مر الملائكة من قريش على رسول الله وعنده خباب بن الارت وصهيب وبلال وعمار ، فقالوا: يا محمد أَرْضَيْتَ بِهِؤُلَاءِ، أَهؤُلَاءِ مَنْ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ،لو طردت هؤلاء لاتبعناك فأنزل الله فيهم القرآن { وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا. }^{٢٦} " }

- كما أخفى القرآن مراده واستبدل بقصده في الوصف في قوله تعالى: { أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا } الإسراء ٥٧، " قال مغيرة ، عن إبراهيم : كان ابن عباس يقول في هذه الآية : هم عيسى وعزير والشمس والقمر ، وقال مجاهد : عيسى والعزير والملائكة .^{٢٧} "

- أما في قوله تعالى: { يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا } الإنسان الآية ٧، ويقال إن هذه الآية الكريمة نزلت في فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وفي علي زوجها، فعن ابن عباس رضي الله عنه : أن الحسن والحسين مرضا ، فعادهما رسول الله في ناس معه ، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت علي ولدك؟ فنذر وفاطمة وفضة جارية لهما - إن برأ مما بهما : أن يصوموا ثلاثة أيام ، فشفيا وما معهم شيء ، فاستقرض علي من (شمعون الخيرى اليهودي ثلاث أصوع من شعير ، فطحنت فاطمة صاعا واختبرت خمسة أفراس على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد ، مسكين من مساكين المسلمين ، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة ، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياما ، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك ، فلما أصبحوا أخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلي رسول الله فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفرار من شدة الجوع ، قال : ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم ، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك ، فنزل جبريل ، وقال : خذها يا محمد هناك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة " .^{٢٨}

- ومن الشائع في أسلوب القرآن أنه يذكر الصفة بديلا عن أسماء القوم الكثير من الصحابة كما في قوله تعالى : { لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة } سورة الفتح ١٧ ، وقد ذكرهم القرآن بصفاتهم (المؤمنين) وكأنه حصر فيهم الإيمان وكأن الإيمان عمهم فصار علما عليهم وبديلا عن أسمائهم ، وكان عددهم يقترب من ألف وخمسمائة من الصحابة ، فعن " سالم بن أبي الجعد ، قال : سألت جابر بن عبد الله عن أصحاب الشجرة فقال : لو كنا مئة ألف لكفانا ، كنا ألفا وخمسمئة وفي رواية كنا خمس عشرة مئة " ^{٢٩} ، فذكرهم بصفاتهم ، إيجازاً من ذكرهم بأسمائهم ، كذلك الخطاب بالوصف فقد وصف المسلمين من قريش والذين هاجروا إلى المدينة (بالفقراء المهاجرين) في قوله تعالى : {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } أولئك هم الصَّادِقُونَ { سورة الحشر الآية ٨ ، وفي الآية الكريمة استخدم القرآن الوصف العام بدلا من الأسماء الصريحة لتعذر ذكرها بكثرة أصحابها فيجمعهم تحت مسمى واحد وصفة واحدة

- كما استخدم القرآن الصفة نيابة عن الاسم الصريح في قوله تعالى فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه " يوسف ٩٦ ، فاستخدم كلمة البشير بدلاً عن الاسم الصريح ليدل على حسن ما كان به هذا الشخص من البشارة لنبي الله يعقوب فكانه خلق كل صفاته عنه وأصبح يمتلك صفة واحدة وهي التبشير وهذا من حسن الامتداح للشخص فكانه بشير دائماً.

المبحث الرابع: أن يذكر المسمى [بوظيفته] بدلا من اسمه الحقيقي

وكثيراً ما يخلع القرآن الكريم على المسمى ذكره بوظيفته أو مهامه في الدولة، قال تعالى: {وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف} سورة يوسف الآية ٤٣ ، ذكر ابن كثير في قصص الأنبياء أن: "ملك مصر وهو الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ، رأى هذه الرؤيا " ٣٠، فنابت الوظيفة عن الخطاب بالاسم الصريح تقرير وحكاية لأخذ العبرة والعظة مما يرويه القرآن عن هذا الملك.

ومنه قوله تعالى: {وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب} سورة غافر ٣٦، ذكر ابن منظور في مادة (فرعن): الفرعة الكبر والتجبر وفرعون: كل نبي ملك دهره... قال الجوهري: فرعون لقب: الوليد بن مصعب ملك مصر وكل عاتٍ فرعون والعناة الفراعنة وقد تفرعن وهو ذو فرعة أي دهاء وتكبر" ٣١. أما اسم هامان فقد ورد ست مرات في ثلاث سور هي: ثلاث مرات في سورة القصص ومرة في سورة العنكبوت ومرتين في سورة غافر ، ويقال أن هامان لقب لكبير البنائين في الدولة المصرية القديمة - وهذا الكلام سمعناه من بعض علماء الآثار ولم نقف له على دليل - لكن نلاحظ من خلال الخطاب في الآيات الكريمة ما يدل على اختصاص هامان بالبناء والتشييد ففي قوله تعالى في سورة القصص الآية ٣٨، ما يخبرنا بذلك، قال تعالى: {وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً} وقوله تعالى: {وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب} سورة غافر الآية ٣٦، ففي الآيتين جاء الأمر المباشر من فرعون لوزير هامان أن يبني له الصرح وكأنه وزير التعمير والبناء في الدولة المصرية القديمة.

ذكر القرآن من الوظائف القديمة: وظيفة الوزير، وهو مساعد الملك ومنفذ أوامره، قال تعالى: {واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي} سورة طه ٢٩، وقال تعالى: {ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا} سورة الفرقان الآية ٣٥ ، ولم نجد لكلمة وزير غير هاتين الآيتين وإنما يذكر بدلا منها كلمة الملأ نظيرا ومرادفاً لحاشية الملك أو وزرائه أو جلسائه ومستشاروه . وتكافئ كلمة العزيز: كلمة الوزير فهي لقب من ألقاب الوزراء في مصر القديمة كما حكى القرآن واستخدم القرآن لقب العزيز بديلا للاسم الصريح في قوله تعالى: {قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه} يوسف ٧٨، والعزيز في الآية الكريمة يقصد به يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم جميعا السلام، أما في قوله تعالى: {وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه} يوسف ٣٠، ومعنى العزيز: "من أهل عزيزها وهو الوزير بها، وجميع الخزانة مسلمة إليه، قال ابن إسحاق: واسمه اطفير بن روحيب، قال: وكان ملك مصر يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق، قال واسم امرأة العزيز: راعيل بنت رمايل وقال غيره كان اسمها زليخا والظاهر أنه لقبها وقيل فكا بنت ينوس رواه الثعلبي عن ابن هشام الرفاعي" ٣٢.

ولا يقتصر الذكر بالوظيفة بدلا من الاسم الصريح على البشر بل تعداه إلى الملائكة قال تعالى: {قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم} سورة السجدة ١١، فلم يذكر الله تعالى ملك الموت باسمه الصريح كما ذكر جبريل وميكال وإنما استخدم القرآن ما هو مكلف بالقيام به من قبض الأرواح ، ويقال إن اسم ملك الموت ، يقول الزمخشري: "ملك الموت اسمه عزرائيل ومعناه عبد الله كما تقدم في سورة البقرة وتصرفه كله بأمر الله تعالى وبخلقه واختراعه" ٣٣.

ومن وظائف الدولة المصرية القديمة وظيفة: ساحر الملك، ومما ورد في القرآن نعرف أن الملوك اتخذوا السحر أداة للسيطرة على الناس، وكان للسحر دوره في الترغيب والترهيب للرعية من ملوكهم، وتم ضم السحرة لبلاط ملوك مصر القديمة وكان السحرة يعملون كموظفين في الدولة ولهم عطايا وهبات تُدْر عليهم الأموال ويعيشون في رغد العيش، قال تعالى: {وجاء السحرة فرعون قائلوا إنا لأجر إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين } "الاعراف ١١٣ و ١١٤، وقوله تعالى: { فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجر إن كنا نحن الغالبين (٤١) قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين (٤٢) } الشعراء ٤٥، والدليل على ذلك قول السحرة وهم يواجهون فرعون وجبروته: { إنا ءامنا ربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى } سورة طه ٧٣، واستعاض القرآن عن ذكر أسمائهم بوظيفتهم لأنها أساس الصراع بين فرعون وموسى عليه السلام ومن خلالها انتصر موسى على فرعون وأثبت عجزه أمام الملأ مما يدل بلا ريب على أنه مخلوق وليس برب أو إله .

المبحث الخامس: أن يُذكر بنسبه أو بحسبه في قومه نيابة عن الاسم الصريح

وهذا الأسلوب من أساليب القرآن الكريم الشائعة والكثيرة، فكثيراً ما يذكر القرآن الأشخاص بعلاقاتهم الأسرية ونسبهم وحسبهم في القبيلة بغرض الزيادة في التخصيص وتمكيناً لتحديد المعنى بالذكر؛ عند الحديث عن الأمور التي تحمل العبرة والعظة للناس، ومن ذلك ما ذكره القرآن من مواقف لولد عاص من أبناء نوح عليه السلام، وكان عاصياً لله كافراً به، ويحكي القرآن مشهداً يسجل فيه عصيان الولد لأبيه في قوله تعالى: {ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا " هود ٤٣، ولا بد أن القرآن الكريم يخفي الاسم الصريح ويذكر الإنسان بنسبه لغرض كامن في المعنى، فذكر ابن نوح بصلته من نوح أبيه: ليدل على مدى عصيان هذا الابن الذي ترك نصائح والده وعصاه، والحقيقة أن الأب عندما ينصح لولده تكون النصيحة صادقة ومخالصة ويكون عصيانه دليل على شدة عناد صاحبها، ويذكر ابن كثير عن ابن نوح قوله: "وهو الابن الرابع واسمه (يام) وكان كافراً دعاه أبوه عند ركوب السفينة أن يؤمن ويركب معهم ولا يغرق مثل ما يغرق الكافرون {قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء } اعتقد بجهله أن الطوفان لا يبلغ إلى رؤوس الجبال وأنه لو تعلق في رأس جبل لنجاه ذلك من الغرق " ٣٤.

والمتدبر لآيات القرآن يجد أن هذا الأسلوب الفريد يستبدل الأسماء الصريحة بغيرها مما ينبو عنها وبخاصة استبدال الاسم الصريح بعلاقة الانتساب لأسرة أو شخص أو الانتساب لبلدة معينة أو الانتساب لمكان معين، ومن هذا ما ذكره القرآن الكريم عن إخوة يوسف في قوله تعالى: {لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين " سورة يوسف الآية ٧، فجمع كل أولاد يعقوب في هذه الآية تحت مظلة قوله: يوسف وإخوته، فنابت كلمة إخوته محل جميع أسماء (أولاد يعقوب) وإخوة يوسف كانوا أحد عشر رجلاً سواه فأخفى القرآن أسماءهم وذكرهم بصلة القرابة التي تربطهم بيوسف من النسب، تلك القرابة المفترض أنها تدل على المودة بين الأخوة فمن الطبيعي أن يحب الأخ أخاه فيحب الأخوة يوسف أخاهم، وهذا يستدعي عدم المكر به فالمراد بالأخوة أن يحمي الأخ أخاه ولا يغدر به ولا يؤذيه، وقد ذكرهم العلامة ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء بقوله: " وكان أولاد يعقوب الذكور اثني عشر رجلاً فمن (ليا) روبيل وشمعون و لاوي و يهوذا و ايساخ و زابلون ومن (راحيل): يوسف و بنيامين ومن أمة راحيل: دان ونفثالي، ومن أمة (ليا): جاد و أشير عليهم السلام " ٣٥.

ويختلف الحديث أسلوبياً عندما تحدث القرآن على أول صراع حقيقي بين الخير والشر، فعندما تكلم عن ابني آدم: قابيل وهابيل، قال تعالى { وائل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين } سورة المائدة ٢٧، وقد أخفى القرآن الكريم الأسماء الصريحة وناب عنها بنسبهما لأبيهما آدم وهذا من بلاغة القرآن الكريم لأن ذكرهما بانتسابهما لآدم كفيل لأن يُنهى الصراع بينهما فهم إخوة في الدم والنسب، ولكن لأن الصراع من سمات الحياة الدنيا فقد حدثت أول جريمة على الأرض وقتل قابيل أخاه هابيل وأزهق روحه في حادثة هي الأولى من نوعها في الدنيا.

المبحث السادس: أن يذكر الرمز العددي أو الرمز اللفظي بدلاً عن الاسم الصريح

أحياناً يعدل القرآن عن ذكر الاسم الصريح وينوب عنه باستخدام الرمز ويختلف الأسلوب في دلالاته البيانية والبلاغية باستخدام الرمز عن استخدام الأسماء الصريحة ليدل على المعنى المراد منها ومن ذلك قوله تعالى {وعلى الثلاثة الذين خلفوا} سورة التوبة ١١٨، ويذكر الثعالبي في تفسيره أن " الثلاثة الذين خلفوا هم: كعب بن مالك - وهلال بن أمية الواقفي - ومرارة بن الربيع العامري وقد خرج حديثهم بكامله البخاري ومسلم"^{٣٦}، وقد رمز لهم القرآن برقم يدل على عددهم وهم ثلاثة نفر تخلفوا عن الغزو لأسباب لم يذكرها القرآن لكنه أقر لهم بسلامة الإيمان وأنزل عليهم التوبة والغفران، وقد استخدم القرآن الرمز العددي بدلاً عن الأسماء الصريحة تكريماً لهؤلاء الصحابة وتلميحاً بالتوبة قبل نزولها فلو أراد القرآن ذكر أسمائهم في الآيات لكانت المصيبة لهم فادحة فسترهم القرآن تمهيداً للتوبة عليهم وقبول استغفارهم وندمهم وليلد على قلة عدد المتخلفين عن الجيش وأن المفترض بالمسلم المسارعة لإجابة النداء عند قيام الحرب وعدم التخلف عنها.

ومن الرمز اللفظي كلمة (كبيرهم) -أو كلمة (أوسطهم) ويرمز بها بدلاً من الاسم الصريح لغرض بلاغي، كما ورد في قوله تعالى: {قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين " يوسف ٨٠

ويبدو من سياق الآية الكريمة أن أخاهم الأكبر (كبيرهم) كان أكثرهم رجاحة في العقل ولهذا لم يصرح القرآن باسمه بل رمز إليه بلفظ (كبيرهم) الذي يدل على الخبرة ورجحان العقل واكتمال الحكمة، " وقيل: المراد كبيرهم في السن وهو روبيّل وقيل كبيرهم في العقل وهو يهودا وهو الذي نهاهم عن قتل يوسف

"^{٣٧}.

أما كلمة (أوسطهم) لم تذكر في القرآن الكريم غير مرة واحدة في قوله تعالى: {قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون} سورة نون الآية ٢٨، "أخرج عبد الحميد عن مجاهد في قوله: قال أوسطهم أي قال: أعدلهم وكل شيء في كتاب الله أوسط فهو أعدل"^{٣٨}، فقد كنى عن أعدل القوم بلفظ أوسطهم ولم يذكره باسمه الصريح والغرض منه: التكريم لعده وتقواه، ولم أقف على اسم صريح له فيما بين يدي من مصادر.

الفصل الثاني: أن يذكر المسمى باسم مبهم، ويتضمن عدة مباحث:

المبحث الأول: أن يذكر المسمى باسم عام أو خاص

من الأساليب الفريدة في القرآن الكريم أن يطلق القرآن اسماً عاماً أو اسماً خاصاً على المسمى ينوب عن الاسم الحقيقي له ولا تشعر بغرابة عند تلاوة القرآن من هذا الأسلوب المميز والفريد بل تجده أسلوباً معجزاً جميلاً في معناه، وقوياً في مبناه، بليغاً في مؤداه، هذا الأسلوب واضح التعبير جيد السبك شديد الحيك.

١ - استخدام الاسم العام بديلاً عن الأسماء الصريحة

فمن ذلك قوله تعالى: {أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرماً} سورة المائدة الآية ٩٦، وقوله تعالى: {وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه} سورة يوسف الآية ١٩، وقوله تعالى: {قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابات الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين} سورة يوسف الآية ١٠، والسيارة: هم مجموعة من الرفقاء المسافرين لأنهم يسبرون في الطرق وعبر الصحراء والمفاوز، وهي اسم عام يستخدم بديلاً عن كلمة (قافلة)، ويعدل القرآن عن ذكر هؤلاء السيارة بأسمائهم الصريحة ويستخدم بدلاً منها اسماً واحداً يدل على العموم، فكلمة السيارة: اسم عام لجميع المسافرين الذين يسبرون في الأرض بغية الوصول لوجه معينة، وهؤلاء المسافرون أشخاص لهم أسماء محددة ومعلومة عند الله، لكن الأسلوب الخطابي للقرآن يفضل ذكرهم باسم جامع عام ليلفت الانتباه للمعنى المراد من الآية ويغض الطرف عن المسمى نفسه لعدم الحاجة إليه في الدلالة .

٢ - استخدام الاسم الخاص بديلاً عن الأسماء الصريحة

ومن الأسماء الخاصة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم لفظ (الحواريون) ووردت في أربعة مواضع من الكتاب الحكيم، وقد خصصها القرآن الكريم لأتباع عيسى عليه السلام وإن كانت الكلمة في العموم تدل على الصاحب والمؤتمن من الرفقاء، وحواري الإسلام هو الزبير بن العوام رضي الله عنه، لكن القرآن جعلها مسمى خاصاً بأصحاب عيسى عليه السلام في قوله تعالى: {فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله} سورة آل عمران الآية ٥٢، وقوله تعالى {وإذ أوحيت إلى الحواريين أن ءامنوا بي وبرسولي قالوا ءامنا واشهد بأننا مسلمون} سورة المائدة الآية ١١١، وقوله تعالى: {إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء} سورة المائدة الآية ١١٢، وقوله تعالى: {يا أيها الذين ءامنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله} سورة الصف الآية ١٤، ومعنى الحواريون: أي الأصحاب والأنصار " وكان عنده -أي عيسى عليه السلام- من الحواريين: اثنا عشر رجلاً: بطرس - ويعقوب بن زيدا - ويحنس أخو يعقوب- وأندراوس - وفليبيس - و ابرثلما - ومتى - وتوماس - ويعقوب بن حلقيا- وتداوس - وفتاتيا -ويودس كريايطا (وهذا هو الذي دل اليهود على عيسى)، قال ابن إسحاق: وكان فيهم رجل آخر اسمه -سرجس -كتمته النصارى وهو الذي صلب عن المسيح وألقي عليه شبهه هو يودس بن كريايطا.. والله أعلم وقال الضحاك عن ابن عباس: استخلف عيسى شمعون وقتلت اليهود يودس الذي ألقى عليه الشبه".^{٣٩}

ولم يخصصهم الله بذكر أسمائهم الصريحة بل خصهم باسم محدد: الحواريون وهذا من التكريم لهم والتميز لحسن قبولهم دعوة عيسى عليه السلام فقد نصره واتبعوه حين كذبه قومه وكفر به طائفة من بني إسرائيل.

المبحث الثاني: أن يذكر الأفعال أو خصائص الإنسان بدلا من اسمه الصريح

ومن عجائب الأسلوب القرآني العدول عن ذكر الاسم الصريح بالإشارة إلى الشخصية عن طريق ما تقوم به من أفعاله ففي قوله تعالى: {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة} سورة الحشر ٩ ، قال أبو المتوكل الناجي: "إن رجلا من المسلمين عبر ثلاثة أيام صائماً يمسي فلا يجد ما يفطر عليه فيصبح صائماً حتى تظن له رجل من الأنصار يقال له (ثابت بن قيس) فقال لأهله: إني أجيء الليلة بضيف لي فإذا وضعت طعامكم، فليقم بعضكم إلي السراج كأنه يصلحه فيطفئه ثم اضربوا بأيديكم إلى الطعام كأنكم تأكلون ولا تأكلوا حتى يشبع ضيفنا فلما أمسى وضع أهله طعامهم فقامت امرأته إلى السراج كأنها تصلحه فأطفأته ثم جعلوا يضربون بأيديهم إلى الطعام كأنهم يأكلون ولا يأكلون ،حتى شبع ضيفهم وإنما كانت خبزة هي قوتهم فلما أصبح ثابت غدا إلي النبي فقال النبي: يا ثابت لقد عجب الله منكم البارحة ومن ضيفكم وأنزلت فيه {ويؤثرون} " ، وهذا من منتهى التكريم للصحابي ثابت بن قيس رضى الله عنه إذ خلد القرآن ذكره بأفعاله المحمودة وجميل صنيعه ، فلم يذكره باسمه الصريح بل ذكره بكرمه وحسن ضيافته .

ومنها قوله تعالى في سورة النور في قوله تعالى: { إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم} سورة النور الآية ١١ فقد كنى عن خاسوا في حادثة الإفك بما فعلوه وبما قالوه، " قال ابن عباس : منهم (عبد الله بن أبي بن سلول) وهو الذي تولى كبره وهو من رؤساء المنافقين، ومسطح بن أثاثه وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش" . وقد كنى عنهم القرآن ولم يذكرهم بأسمائهم الصريح واستعاض عنها بأفعالهم وقولهم بالإفك استنكاراً وتشنيعاً لسوء ما فعلوه.

ومنه أيضاً قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } سورة البقرة الآية ٢٥٨ ، فمن الذي قام ليحاج إبراهيم في ربه؟ ذكر عبد القاهر الجرجاني في كتابه (درج الدرر) المنسوب إليه قوله: " نزلت في شأن إبراهيم عليه السلام ودعوته: نمرود إلى الإسلام والقصة فيه أن نمرود ، قيل: فريدون بن كنعان بن جم بن نريجهان بن أرفخشذ علا في الأرض بعد الضحاك بن علوان بن عمليق واعتقد في النجوم القدرة وتدبير الدنيا واتخذ أصناماً على أسمائها ثم ادعى الربوبية لنفسه" .^{٤٢}

تلك نماذج من أساليب القرآن الكريم وتعد من أساليبه الفريدة التي تجمع القلوب على تدبره وفهم معانيه والله من وراء القصد وهو يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

الخاتمة:

الحمد لله المتفرد بلطفه على عباده والمتفضل بالجود على المؤمنين به والعاصين له، رب الأرباب سبحانه، رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده.

والصلاة والسلام على خير البرية ومبلغ الرسالة للبشرية، والهادي إلى طريق الحق، صلى الله على نبيه
ورسوله وآله وسلم تسليماً كثيراً

أما بعد،

فقد وفقني الله لهذا العمل الذي شغل من تفكيري مدة طويلة وشغفت به حتى ملك على عقلي: رحبه
وتفكيره، وخلال عام كامل وأنا أحاول الكتابة فيه ويمنعني الخوف من عظيم جلال الله ورهبة كتابه
الحكيم، واستعنت بالله لأتجاوز هذا الخوف وبدأت الكتابة في البحث لعدة شهور متواصلة وها قد آن الأوان
وتمت كتابته ثم وصلت بالبحث إلى الختام ولولا مخافة التطويل لأطلت، ولولا رهبة القرآن أطنبت،
فالكلام عنه وعن بالغ تبياناه ورفيع بلاغته من أمور الخير، وأسأل الله أن يكتب لي إخراج هذا البحث
كاملاً في شكل كتاب في يوم من الأيام . وأسأله سبحانه التوفيق والسداد آمين.

هوامش البحث

^١ - تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر
الزمخشري - اعتنى به وخرجه وعلق عليه : خليل مأمون شياح- دار المعرفة - بيروت ط٣ - ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م - ص ٣٦٨

^٢ - تفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن - مؤسسة الأعلي للمطبوعات - بيروت لبنان - بدون طبعة
وبدون تاريخ - ج ٣ / ص ٢١٨

^٣ - تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب - للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين
عمر المشتهر بخطيب الري نفع الله به المسلمين - (٥٤٤-٦٠٤هـ) - دار الفكر - ١٤٠١هـ / ١٩٨١م - ج ٢٤ / ص ١٥٤

^٤ - باختصار من "تفسير القرآن العظيم" للحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي - تحقيق : سامي بن
محمد السلامة - دار طيبة ط٢ - ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م - ج ١ - ص ٤٢٦

^٥ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر
الزمخشري - تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وشارك في تحقيقه أ.د. فتحي عبد الرحمن أحمد
حجازي - مكتبة العبيكان ط١ - ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م - المملكة العربية السعودية - الرياض - ج ٣ / ص ٤٥

^٦ - تفسير القرآن العظيم - الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير - ج ٣ / ص ٧٧

^٧ - تفسير القرآن العظيم - الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير - ج ٦ / ص ٥٧٠

^٨ - تفسير القرآن العظيم - الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير - ج ٥ / ص ٢٢٨

- ٩ -الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان-لأبي عبد الله محمد القرطبي - ص ٩٩
- ١٠ - قصص الأنبياء - الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ- تحقيق د. عبد الحي الفرماوي -دار الناشر/مؤسسة النور ط٥-١٤١٧هـ / ١٩٩٧م -ص ٢٥٣
- ١١ -قصص الأنبياء -ابن كثير - ٣٠٢
- ١٢ -قصص الأنبياء -ابن كثير - ص ٣٨١
- ١٣ -روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني-لأبي الفضل شهاب الدين الألوسي البغدادي -ج ٣٠ / ٢٦٣
- ١٤ -الجامع لأحكام القرآن -القرطبي - ج ٥/ ص ١٢٢
- ١٥ - لسان العرب-للإمام العلامة ابن منظور (ت ٦٣٠-٧١١هـ) -اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي- دار إحياء التراث -بيروت -لبنان-ط٣-١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م -١٠ / ١٨١
- ١٦ - قصص الأنبياء - ابن كثير - ص ٤٨٧
- ١٧ -لسان العرب -ابن منظور - مادة كني -ج ١٢/ ص ١٧٤
- ١٨ - قصص الأنبياء -ابن كثير - ص ٣٨١
- ١٩ -أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي- تأليف : ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت ٦٩١) -إعداد وتقديم :محمد عبد الرحمن المرعشلي-دار إحياء التراث -بيروت-بدون طبعة أو تاريخ- ج ٣/ ص ٢٩١
- ٢٠ - أسباب النزول المسمى "الباب النقول في أسباب النزول - للإمام الحافظ الحجة القدوة : جلال الدين أبي عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) -مؤسسة الكتب الثقافية ط١- ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م - ص ١٨٥
- ٢١ -أسباب النزول -السيوطي - ١٨٦
- ٢٢ - أسباب النزول - السيوطي - ص ٨٦
- ٢٣ -أسباب النزول - السيوطي - ١١٠

^{٢٤} -تفسير القرآن العزيز- لابن زمنين الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي ومنين -تحقيق:

أبي عبد الله حسين بن عكاشة و محمد بن مصطفى الكنز - دار الفاروق الحديثة-شبرا ط-١-١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م-م ٢/ص

٧٩

^{٢٥} - أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي - ج ٥/ص ٢٨٦

^{٢٦} -أسباب النزول -السيوطي -١١٤

^{٢٧} -تفسير القرآن العظيم -ابن كثير - ج ٥/ص ٨٩

^{٢٨} - الكشف - الزمخشري - ص ٢٧٨ و ص ٢٨٨

^{٢٩} -الجامع لأحكام القرآن-القرطبي -ج ١٩/٣١٧

^{٣٠} -قصص الأنبياء -ابن كثير - ص ٣١٢

^{٣١} - لسان العرب -ابن منظور -ج ١٠ / ٢٤١

^{٣٢} -قصص الأنبياء -ابن كثير - ص ٣٠٢

^{٣٣} - الكشف - الزمخشري - ج ١٧ / ص ١٨

^{٣٤} -عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير مختصر تفسير القرآن العظيم -تحقيق الشيخ أحمد شاکر -أعده أنور الباز-دار

الوفاء-ط-٢-١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م -٢/٢٦٢

^{٣٥} -قصص الأنبياء -الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) -تحقيق د.عبد

الحي الفرماوي-مؤسسة النور للطباعة والنشر-ط-٥-١٤١٧هـ/١٩٩٧م-ص ٢٩٠

^{٣٦} -تفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن-للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي الما

-مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت -لبنان -١٦٢/٢

^{٣٧} -التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب -الإمام فخر الدين الرازي (٥٤٤-٦٠٤هـ) -تحقيق سيد عمران-دار الحديث -القاهرة -

ط-١-١٤٣٣هـ/٢٠١٢م-٩/٣٨١

^{٣٨} - تفسير الدر المنثور في تفسير المأثور - السيوطي -٨/٢٥٣

^{٣٩} -قصص الأنبياء -الحافظ ابن كثير - ٧٤٧

٤٠ - تفسير القرآن العظيم - لأبي زمنين - مجلد ٣٦٩/٤

٤١ - التبيان في تفسير القرآن - أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) - تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي - دار إحياء التراث - بيروت - ط١ - بدون تاريخ - ٤١٥/٧

٤٢ - درج الدرر في تفسير القرآن العظيم - المنسوب إلى عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) - تحقيق د. طلعت صلاح الفرحان ود. محمد أديب شكور - ط١ - ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م - دار الفكر - الأردن - ٣٥٣/١

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
١. أسباب النزول المسمى "الباب النقول في أسباب النزول - للإمام الحافظ الحجة القدوة : جلال الدين أبي عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) - مؤسسة الكتب الثقافية - ط١ - ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م
٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي- تأليف : ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت ٦٩١) - إعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي - دار إحياء التراث - بيروت - بدون طبعة أو تاريخ
٣. التبيان في تفسير القرآن - أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) - تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي - دار إحياء التراث - بيروت - ط١ - بدون تاريخ
٤. تفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن - مؤسسة الأعلي للمطبوعات - بيروت لبنان - بدون طبعة وبدون تاريخ
٥. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب - للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري نفع الله به المسلمين - (٥٤٤-٦٠٤هـ) - دار الفكر - ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م -
٦. تفسير القرآن العزيز - لابن زمنين الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي ومنين - تحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة و محمد بن مصطفى الكنز - دار الفاروق الحديثة - شبرا - ط١ - ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م
٧. تفسير القرآن العظيم - "للحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي - تحقيق : سامي بن محمد السلامة - دار طيبة - ط٢ - ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م
٨. تفسير الكشف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل - تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري - اعتنى به وخرجه وعلق عليه : خليل مأمون شيجا - دار المعرفة - بيروت - ط٣ - ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

٩. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة و آي الفرقان -تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي-تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وشارك في تحقيق هذا الجزء محمد رضوان عرقسوسي-مؤسسة الرسالة-بيروت -ط١- ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م
١٠. درج الدرر في تفسير القرآن العظيم - المنسوب إلى عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) -تحقيق د. طلعت صلاح الفرحان ود. محمد أديب شكور-دار الفكر - الأردن - ط١- ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م
١١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني -للعلامة الألوسي البغدادي-دار إحياء التراث - بيروت-د.ت-د.ط
١٢. عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير مختصر تفسير القرآن العظيم -تحقيق الشيخ أحمد شاكر -أعده أنور الباز-دار الوفاء--ط٢-١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م
١٣. قصص الأنبياء - الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(٧٧٤هـ- تحقيق د. عبد الحي الفرماوى -دار الناشر/مؤسسة النور -ط٥-١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م
١٤. لسان العرب-للإمام العلامة ابن منظور (ت ٦٣٠-٧١١هـ) -اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي- دار إحياء التراث -بيروت -لبنان-ط٣-١٤١٩هـ/١٩٩٩م